(التداخل النسقي بين الضرورة الجمالية والسياق الخارجي)
شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم – أنموذجا-

كريم مبروكي –طالب دكتوراه-
مخبر المصطلح والمخطوط والأدب الجزائري المكتوب في الصحافة، جامعة الجلفة
إشراف الدكتور : كمال بن عطية

ملخص:

موضوع إبداع شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم في ظل الالتزام هو في الواقع دراسة فنية جمالية لنموذج من نماذج شعراء صدر الإسلام ، والتي تُعد محاولة لتبين أن الالتزام الديني لا علاقة له بتقيد الإبداع الفني في الشعر كما يشاع ، بل يمكن الذهاب أبعد من ذلك بالقول أن الالتزام جعل من الأديب سيد لشعر لا الشعر سيد له ، ومن هنا يحق لنا أن نسأل هل الجانب الفني الجمالي يتعارض مع السياق الخارجي ؟ وهل يمكن تفنيد المقولة بأن " أعذب الشعر أكذبه " ؟

كلمات مفتاحية : ثقافة الالتزام- السياق الخارجي. الإبداع الفني. شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم

Abstract

The creation of the poets of the Prophet -peace upon him- in commitment is in fact an aesthetic study of the model of the poets of Islam, which is an attempt to prove that religious commitment has nothing to do with the adherence to artistic creativity in poetry as rumored, but it can be said that the commitment made the writer master of poetry and not poetry master , So we have the right to ask whether the artistic aspect of the aesthetic conflict with the external context? Is it possible to refute the argument that "the hair freshener lied?"

Keywords: culture of commitment, external context, artistic creativity, poets of the Prophet -peace upon him-

- **شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم :**

أول ما نستهل به في دراستنا التطبيقية هذه هو تقديم تعريف بسيط ومختصر عن شعراء الرسول. صلى الله عليه وسلم. باعتباره محل هذه الدراسة (النموذج)، وأيضا كوننا نعتبر التعريف بالشعراء الثلاثة جزء لا يتجزأ من الدراسة خاصة و أنهم شعراء مخضرمين بين الجاهلية والإسلام ،هذا الأخير الذي أحدث أثر كبير في نفسية الشعراء وفي أعمالهم الشعرية كما سنراه في هذه الدراسة المتواضعة.

- **مصطلح شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم :**

يطلق هذا المصطلح على ثلاثة شعراء هم: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه ، استنادا مثلا لأحد الأقوال منها : "وهكذا تطوع من الأنصار ثلاثة شعراء خزرجيين هم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه لأداء هذه المهمة ، وتولوا الدفاع عن الإسلام و المسلمين ، والرد على شعراء الكفر الكثيرين وكان يؤازرهم شعراء آخرون من المهاجرين و الأنصار من أمثال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علي بن أبي طالب وبعض الشاعرات المسلمات مثل هند بنت أثاثه وصفية بنت عبد المطلب ،ولكن أولئك الثلاثة كانوا أشعر القوم وأقدرهم على القيام بهذا الدور وهم الذين عرفوا بشعراء الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيرهم[314]".

وقال عنهم البيضاوي " هؤلاء الثلاثة حسان وعبد الله بن رواحه وكعب بن مالك شعراء المسلمين في المدينة "[315].

ويقول عنهم أيضا الدكتور سيد حنفي حسين: " ولم يكن حسان وحده هو الذي يفعل ذلك وإنما شاركه شاعران آخران ،هما كعب بن مالك وعبد الله بن رواحه "[316].

وكما هو معلوم أن قريشا وسائر العرب أهل لسن وبيان كما أنهم أهل قتال ونزال ، فلما أرسل الله إليهم وإلى الناس كافة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسوا له كما يقال

جلد النمر، وتكالبوا عليه ولجؤا إلى قتاله بالسيف وبالكلام ، فسخروا له شعراء لهجائه وهجاء من يتبعه فكان من شعرائهم عبد الله بن الزبعري وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وضرار بن الخطاب ،ولما لاحظ ذلك المسلمون قال قائل4 لعلي بن أبي طالب : اهج عنا القوم الذين يهجوننا فقال: إن أذن لي النبي صلى الله عليه وسلم فعلت، فقالوا: يا رسول الله ائذن له ،فقال سيدنا رسول الله إن علي ليس هناك أو ليس عنده في ذلك ..ثم قال صلوات الله عليه "ما يمنع القوم الذين نصروا الرسول بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم فقال حسان : أنا لها ،فقال له الرسول كيف تهجوهم وأنا منهم .وكيف تهجوا أبا سفيان وهو ابن عمي .فقال :والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين :فقال له اذهب لأبي بكر يعلمك الأنساب.

وكان معه لهجاء المشركين كعب بن مالك وعبد الله بن رواحه .قالوا: وكان عبد الله بن رواحه يعيرهم بالكفر وعبادة مالا يسمع ولا يضر ولا ينفع ، وكان حسان وكعب يعارضانهم في الوقائع والمآثر ،قالوا:فكان قول بن رواحه يومئذ أهون القول عليهم وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم فلما أسلموا وفقهوا كان أشد القول عليهم قول عبد الله بن رواحه.

- **التزام شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم دينيا :**

قبل الحديث عن التزام شعراء الرسول.صلى الله عليه وسلم.دينيا لا بأس أن نعرج على الحياة الدينية والفكرية قبل الإسلام وأثناءه حتى نعرف مدى التزام شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم دينيا ففي العصر الجاهلي كانت عبادة الأصنام هي الدين السائد لأهل يثرب ، فقد كان بعضهم يعبدها تقربا إلى الله ، والبعض الأخر يعتبرها مصدرا للخير أو الشر ، فقبيلتا الأوس و الخزرج كانوا وثنيين يؤمنون بقوى إلهية تتمثل في مظاهر الطبيعية الكونية وكانوا يتعبدون الأصنام التي يصنعونها بأيديهم ، فمثلا كان "الصنم مناه صخرة منصوبة على ساحل البحر الأحمر بين مكة و المدينة وكانت ترمز إلى الموت ، فهي رمز القضاء والقدر أيضا وكانت معظمة عند قبائل هذيل وخزاعة والأوس و الخزرج"5، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى:{أفرأيتم اللات و لعزى ومناه الثالثة الأخرى}6وفي قول الشاعر حسان بن ثابت :" ومناه ربي خصهم بكرامة حجاب بيت الله ذي الأستار"7، وكان في الجاهلية لكل قبيلة صنم تعبده وتقدسه ، فقد قيل كان في الكعبة عند فتح الرسول صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة ثلاثة مائة وستون صنما وكان عند قريش الصنم(هبل) له يد من ذهب.

وباقترابنا من أواخر العصر الجاهلي وجدنا استعدادا فعليا لفكرة الإله الواحد ، إذا بدأ ذلك لدى طائفة الحنفاء الذين كانوا يشكون في الدين الوثني مما جعلهم يبحثون عن دين جديد يهديهم في الحياة ، وهم ورقة بن نوفل و عثمان بن الحويرث وزيد بن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمرو ،إذ شكوا في أصنامهم وقالوا نحن أخطأنا دين أبينا إبراهيم بعبادتنا للحجر الذي لا يضر ولا ينفع ، فتفرقوا في البلاد يلتمسون الحنفية دين أبيهم إبراهيم(عليه السلام).

وكانت هناك أيضا الديانة اليهودية والتي أثر بها اليهود في كثير من القبائل والملوك ، ونذكر منهم بني النضير وقينقاع وقريضة ، وقد لعب اليهود دورا كبير في إشعال نار الفتنة بين قبيلتا الأوس و الخزرج والتي لم تنتهي إلا بظهور الإسلام ، فتحول العداء له فنجد حسان بن ثابت يقول فيهم : " فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح "8، وهو هنا يذكر أيضا الديانة النصرانية وقيل كانت في شبه الجزيرة العربية.

وعندما جاء الإسلام وقضى على الوثنية الجاهلية انتقل الناس من عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد، فخرج بهم من الظلام والضياع إلى نور لهداية والرشد ، واتجه القرآن الكريم مباشرة إلى العقل في دعوته إلى الإيمان بوجود الله الواحد الأحد فمن هذه الآيات نذكر .على سبيل التمثيل لا للحصر. قوله تعالى: { إنا أنزلناه قرأنا عربيا لعلكم تعقلون}. وقال تعالى:{ لقد أنزلنا إليكم كتاب فيه ذكركم أفلا تعقلون9}،وقوله تعالى: {...قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون}10 وقوله تعالى : {..ويريكم آياته لعلكم تعقلون}11 وقوله تعالى:{أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون }12.

فقد حاولت في التمثيل بالآيات التي تحمل كلمة (تعقلون) التي ترجع إلى لفظ(العقل) والذي هو نقيض وعكس كلمة (الجهل) حتى أشير أن المسلمين تحرروا من قيود الجاهلية بفضل تفتح عقولهم على الدين الإسلام .

أما الالتزام عند شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم دينيا فتمثل في شعرهم الذي كان شعر الدعوة الإسلامية والذي دافعوا به عن الإسلام والمسلمين وكان وسيلة من وسائل الدعوة فهو يدعوا إلى الربوبية المطلقة لله والى نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان شعرهم صورة عن المعاني الإسلامية وطرحا للألفاظ القرآنية وسنحاول أن نبين هذا الالتزام عند شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم في المحطات الآتية:

1-الالتزام بوصف نور النبي مدحا و افتخارا:

انطلق شعراء الرسول صلى الله علية وسلم ملتزماً بوصف ومدح النبي الكريم بكل فخر وما يجدر بنا هو أن نقول أنه مدحا لا يشبه ما سبقه من مدح في الجاهلية المعروف بالنفاق والكذب والمبالغة والتكسب، فمدحهم كان بما في النبي من خصال رفيعة شهد بها كل من عرفه أصحاب أو أعداء فقد سُمي بالأمين من طرف أعدائه ، وذُكر نوره في القرآن الكريم قال تعالى :{قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين}13،وقال أيضا :{ يا أيها النبي إنا أرسلناك شهيدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه،و سراجا منيرا}14.

كما أن النبي لم يكن ليرضى بمبا لغتهم وهو القائل : "إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب "، فقوله أحثوا أي أرموا في وجوههم التراب كناية عن كذبهم ومبالغتهم في الإكثار منه بغير وجه حق .

ولعل الدليل على ما قلناه هو أن شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الثلاثة أو حتى غيرهم ممن مدحه لم يخصص له قصيدة مدح له وحده ، ولم يمدحوه إلا كما قال فيه المولى عز وجل أو مما شهد به صحابته و شهد له فيه حتى أعدائه فهاهو حسان بن ثابت يقول:"أعطوا نبي الهدى والبر طاعتهم فما وفى نصرهم عنه وما نزعوا15"،ويقول أيضا مادحا : "أكرم بقوم رسول الله قائدهم إذا تفرقت الأهواء والشيع" ، ويقول حسان يوم بدر: (من البحر البسيط).16

فينَا الرَّسُولُ وفينَا الحَقُّ نَتبعَهُ حَتَّى المَمَات ونَصرٌ غَيرُ مَحدُود

مُباركٌ كضياء البَدر صُورتُهُ مَا قَالَ كَانَ قضَاءٌ غيرَ مردُود

مُستَعصمينَ بحبل غير مُنجذم مُستَحكم من حبَال الله ممدُود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا تأملنا في هذه الأبيات الثلاث نلحظ أن حسان التزم مفتخرا بنور النبي واصفا إياه بالحق المتبع في الشطر الأول ثم واصل في الشطر الثاني مخبرا عن وفائه لهذا الحق إلى غاية الممات أو تحقيق النصر ثم ينطلق في البيت الثاني واصفا ومشبها النبي صلى الله عليه وسلم بالبدر ولعل وجه الشبه بينهما هو الرفعة والمكانة العالية والاكتمال لكل منهما ، فكما هو معلوم أن البدر هو حالة من الاكتمال التي أدركها حسان في لغته الشعرية .

فلو قال مثلا " كالهلال" لكان الوصف ناقص فالبدر هو صورة من صورا الاكتمال بالنسبة للهلال ، وقد قلت اكتمال ولم أقل كمال فهو خاص بالله دون سواه ، كما أننا ربما نفهم في تشبيه نور النبي صلى الله عليه وسلم بالبدر من طرف حسان هو إشارة ولفت انتباه بطريقة غير مباشرة بقول أن هذا النور و الضياء و الإشراق في وجه النبي هو نتيجة تأكده بالنصر والفوز على خصومه المشركين ، ولعل هذا التأكد والإشراق نابع وناتج عن إيمان النبي صلى الله عليه وسلم وثقته بالله سبحانه وتعالى ، وهو في البيت الثالث يذكر أحد أسباب هذا النصر وهو التمسك بحبل الله بقوله (مستعصمين) بما يحمل من قوة وشدة على وزن مستفعلين عوض قوله (معتصمين) وقد جاءت الأبيات الثلاثة متسقة منسجمة معتمدا فيها حرف العطف "الواو" للربط والجمع بقوله :(فينا الرسول وفينا الحق نتبعه) وهو ربط وجمع وثيق بين النبي وبينهم ، و استعمل حرف الجر "الباء" دون غيرها حتى يبين شدة التمسك والالتصاق (مستعصمين بحبل غير منجدم) فالالتصاق من معاني حرف الجر الباء.

وقد استعمل أيضا حرف الجر (فينا) عوض (بيننا) لأن حرف الجر (في) تحمل التمكن والاستقرار لدلالة على مكانة النبي في نفسهم

ويقول عبد الله بن رواحه ملتزما: 17

تحمله الناقة الأدماء معتجرا بالبرد كالبدر جلي ليلة الظلم

وفي عطافيه أو أثناء بردته ما يعلم الله من دين ومن كرم

ففي هذين البيتين18 نجد عبد الله ملتزم بوصف النبي بالبدر باستعماله كاف التشبيه ووجه الشبه هو الاكتمال في الصفات وما زاده جمال هو الضياء في الليلة الظلماء ، هذا الضياء النابع من صفتا الكرم والدين .

ويقول كعب بن مالك :

ولما حامت فوارسكم ببدر ولا صبروا به عند اللقاء

وردنا بنور الله يجلو دجى الظلماء عنا والغطاء

رسول الله يعد منا بأمر من أمر الله أحكم بالقضاء

فكعب سار على نهج سابقيه حسان وبن رواحه بوصف النبي بالنور الذي يزيل شدة الظلام والغطاء ، ثم يواصل أنه لم يكتفي بإزالة الغطاء وفقط بل قد كان في المقدمة بأمر من أمر الله وكأنه القضاء .

ويقول أيضا كعب بن مالك:21

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضيء له فضل على الشهب

الحق منطقه والعدل سيرته فمن يجبه إليه ينج من تب[317]

نجد المقدم ،ماضي الهم معتزم حين القلوب على رجف من الرعب

يمضي ويذمرنا عن غير معصية كأنه البدر لم يطبع على الكذب

بدالنا فاتبعنا نصدقه وكذبوه فكنا أسعد العرب

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

في هذه القطعة الشعرية نجد كعب سائرا على درب أصحابه في الالتزام بوصف النبي "بالشهاب " المضيء ولعل في استعماله لكلمة الشهاب ثم ينتقل ملتزما للحديث عن

صفاته وهي الحق والعدل والإقدام في المواقف الصعبة التي عبر عنها بالكناية في قوله حين القلوب عل رجف من الرعب كناية عن الخوف وشدة القتال ثم انتقال لتشبيه نور النبي بالبدر باستعمال حرف التشبيه (كأن) وهو أقرب حروف التشبيه وأقواها .

ولقد استوقفني بيت حسان بن ثابت يصف بها نور النبي بالهلال دون وصفه بالبدر

كما لاحظنا في قوله: 22

وَالله رَبّي لا نُفارقُ ماجد عفَّ الخَليقَة مَاجدَ الأَمجَاد

مُتَكَرّمًا يَدعُو إلَى رَبّ العُلى بَذلَ النّصيحَة رَافعًا لأَعمَاد

مثلَ الهلال مُباركا ذا رَحمَة سَمحَ الخليقَة طَيبَ الأعوَاد

فاستعمال كلمة الهلال في هذا الموضوع أدق لأن الهلال عالي المنزلة يزداد نوره يوم بعد يوم ، يعني أن حسان يقول أن نور النبي يزداد يوم بعد يوم بزيادة دعوته لدين النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (متكرما يدعو إلى رب العلى ..)، وفي استعماله لحرف التشبيه (مثل) إيصال معنى المماثلة والمشابهة بينهما.

2-الالتزام بهجاء الأعداد بالكفر:

قال حسان بن ثابت (في غزوة الخندق من الكامل)23

وكَفَى الإلهُ المُؤمنينَ قتَالهُم وَأَثَابهُم في الأجر خَيرَ ثَوَاب

وَأَقَرَّعَينَ مُحَمَّد وَصحابه وَأَذَلَّ كلّ مُكذب مُرتَاب[318]

مُستشعَر للكفر دُون ثيَابه والكُفرُ ليس بطَاهر الأثوَابَ

عَلقَ الشَّقَاءُ بقلبه فأربنه في الكُفر أخرَ هذه الأَحقَاب[319]

وفي هذه الأبيات يخبرنا حسان بن ثابت عن نصر الله سبحانه وتعالى للمؤمنين من غير قتال هذا النصر الذي سرت به الأعين ، ثم يواصل حسان بن ثابت في البيت الثالث ملتزما بهجاء الأعداء بالكفر معبرا عنه بقوله: (مستشعر للكفر دون ثيابه..) ثم يتبعه بقوله: (والكفر ليس بطاهر الأثواب) أي ليس منظف للأثواب ومن نتائج هذا الكفر هو الشقاء في الكفر طول الدهر ويقول أيضا كعب بن مالك: 24

فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن يكفر به يجزى الكفور

فلما أشربوا غدرا وكفرا وحاد بهم عن الحق النفور

أرى الله النبي برأي صدق وكان الله يحكم لا يجور[320]

فأيده وسلفه عليهم وكان نصيره نعم النصير

المنارة للاستشارات www.manaraa.com

فكعب هنا يمضي ملتزما بقوله أن من يتبع النبي الكريم يهدى إلى الرشد والصلاح على عكس من يكفر الذي يجزى الخسران ،وعبر في البيت الثاني عن شدة كفرهم بالاستعارة المكنية في قوله (اشربوا غدرا وكفرا) لما فيها من تقوية للمعنى وتشخيصه مع تحويل المعنوي المحسوس (الغدر والكفر) إلى مادي ملموس من خلال القرينة والأزمة (أشربوا)25.

3-الالتزام بإتباع الإسلام :

وقال حسان بن ثابت :

اللهُ أكرَمَنَا بنصر نَبيه وَبنَا أَقامَ دَعائم الإسلام

وَبنَا أَعَزّ نَبيَّه وَكتَابَهُ وَأَعَزَّنَا بالضَّرب والإقدَام

ينتابنا جبريل في أبياتنا بفرائض الإسلام والأحكام

يتلو علينا النور فيها محكما قسما لعَمرُك ليس كالأقسام

فنكون أول مستحل حلاله ومحرم لله كل حرام

نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمام كل زمام

وتظهر الروح الإسلامية جلية في التزام حسان بالدعوة إلى دين الله (الإسلام) دين نبيه محمد الذي بين وسطر لنا أركان الإسلام ، مستندا في ذلك بروح القدس أمين الله جبريل الذي أتى بالوحي والنور المحكم هو القرآن الكريم ، متتبعينا فيه كل حلال مبتعدين كارهين لكل حرام ، فبهذا ولهذا نكون خير خيار من على الأرض من سائر البشر، فبعد كل هذه النعم التي فضل الله بها علينا نفهم سر تقديم حسان لكلمة الله سبحانه وتعالى (الله أكرمنا)، وجعله في البداية فهو المبتدأ لكل هذه النعم سبحانه وتعالى .

وقال كعب بن مالك: (الكامل)26

الله أكرمنا بنصر نبينا وبنا أقام دعائم الإسلام

وبنا أعز نبيه ووليه وأعزنا بالنصر والإقدام

في كل معترك تُطيرُ نفوسنا تلك الجماجم عن أفراخ الهام

نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمام كل زمام

فكعب أيضا قدم الله سبحانه وتعالى وجعله مبتدأ لنعمه الكثيرة كالإسلام والنصر والإقدام والتي جعلت منهم خيار البرية مؤكدا ذلك (كلها) مستعيرا في البيت الثالث لفظ (تطير) لدلالة على شدة وكثرة قتلهم للنفوس في قوله (تطير النفوس) ، والملاحظ في هذه الأبيات معارضة كعب لأبيات حسان في المعنى واللفظ وخاصة المعارضة الواضحة في البيت الأول والبيت الأخير لكعب مع البيت الأول والأخير لحسان .

ويقول عبد الله بن رواحه27:

فلم أر كالإسلام عز لأمة ومثل أضايف الأراش معاشرا

نبي وصديق وفاروق أمة وخير بني حواء فرعا وعنصرا

بهذا يكون عبد الله بن رواحه سائرا على نسق وسياق صحبه ملتزما بالإعتزاز بإتباع الإسلام كيف لا ؟ وهو دين النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وصحبه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب .رضي الله عنهما .ولعل في حذفه لحرف العلة في الفعل (أرى) بعد الجزم ب(لم) حذف لكل الديانات السماوية الأخرى وتفضيل الإسلام عنها (فلم أر كالإسلام عز لأمة).

وقال أيضا من مشطور الرجز:28

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أفلح من يعالج المساجد

ويقرأ القرآن قائما وقاعدا

ولا يبيت الليل عنه الغبار حائدا

هو إنشاد من عبد الله بن رواحه تشجيعا للمسلمين أثناء بنائهم للمسجد وبث الحماس في نفوسهم.

وقال أيضا من الرجز يوم حفر الفندق: 29

باسم الإله و به بدينا

ولو عبدنا غيره شقينا

فحبذا ربنا وحب ديننا

ففي هذا الإنشاء والذي قبله التزام الشاعر بمبادئ وقيم الإسلام خاصة الأخير حيث افتتحه بعبارة "باسم الله" وهي فاتحة لكل شيء يقوم به المسلم.

4-التضحية والشهادة في سبيل الله:

وحتى يكتمل التزام شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليهم أن يضحوا بنفس والنفيس لنصرة هذا الدين والاستشهاد في سبيله عملا بقوله تعالى :

{ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون169}30.

فهاهو كعب يقول:31

ألا أبلغ قريشا على نأيها أتفخر منا بما لم تلي

فخرتم بقتلى أصابتهم فواصل من نعم المفضل

فحلوا جنانا وأبقوا لكم أسودا تحامي عن الأشبل

تقاتل عن دينها وسطها نبي عن الحق لم ينكل

فقد استهل كعب بن مالك أبياته بحرف الاستفتاح (ألا) للفت انتباه قريش أن النصر المحقق في غزوة أحد لم يكن بسبب قوتهم وتفوقهم ، وإنما كان بسبب خطأ من المسلمين، ثم استعمل في الشطر الثاني من البيت الأول أسلوب إنشائي بصيغة الاستفهام الإنكاري(أتفخر ؟) للإنكار والاستهزاء من فرحتهم بهذا النصر الوهمي ، فمن يزعمون أنهم قتلوا هم أحياء يرزقون عند ربهم في جنات النعيم تاركينا لهم أبناء كالأشبال.

ويقول أيضا في رثاء حمزة رضي الله عنه (الوافر)32.

أبا يعلي لك الأركان هدت وأنت الماجد البر الوصول

عليك سلام ربك في جنان مخالطها نعيم لا يزول

وقال حسان بن ثابت من (الطويل).33

فإن تذكروا قتلى وحمزة فيهم قتيل ثوى الله وهو مطيع[321]

فإن جنان الخلد منزله بها وأمر الذي يقضي الأمور سريع

وقتلاكم في النار أفضل رزقهم حميما معا في جوفها وضريح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان حسان بن ثابت بهذه الأبيات يناظر ويحاجج كفار قريش ،ويبني بنوع من الاستغراب كيف قارنوا بين قتلاهم وشهداء المسلمين والفرق طبعا كبير وشاسع ولا وجه للمقارنة، خاصة وأن شهداء المسلمين في جنان الخلد وفي الفردوس الأعلى إن شاء الله، وقتلى الكفار في النار بل أكثر من ذلك كما قال وأراد في شعره (في جوفها) أي في أعماقها مستعيرا في ذلك جوف المرأة حتى يكون التصوير قريب وواضح لأذهانهم فيحدث في نفوسهم الجـزع والرعـب.

وقول عبد الله بن رواحه34

لكني أسأل الرحمان مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبد

أو طعنة بيدي حران مجهزة بحربه تنقذ الأحشاء والكبد

حتى يقال إذا مروا على جدني أرشده الله من غاز وقد رشدا

أسأل بهذه الأبيات الله المغفرة والشهادة وسأقف وأتوقف لا للبكاء على الأطلال، وإنما وقوفا أحي فيه رجال التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم بالصدق والوفاء والإخلاص ملتزمين الدفاع عنه بكل قوتهم غير مبالين بالمخاطر والأهواء طالبينا الشهادة في سبيل اللهو هاهو عبد الله بن رواحه يقول من مشطور الرجز35:

أقسمت يا نفس لتنزلنه

طائعة أولا لتكرهنه

مالي أراك تكرهين الجنة

وقال أيضا36:

هل أنت إلا إصبع دميت

وفي سبيل الله ما لقيت

يا نفس إلا تقتل تموتي

هذا حمام الموت قد صليت

أن تسلمي اليوم فلن تموتي

خاتمة :

- تعد قضية الالتزام قديمة جديدة، قديمة في استعمالها ووجودها منذ العصور القديمة، وجديدة كمصطلح لم تحدد مفاهيمه إلى مع ظهور المدارس النقدية.
- الالتزام ليس قيد يحد من إبداع على الشاعر، ربما قد يكون إطلاق للإبداع.
- الالتزام لم يضعف الشعر بل بالعكس أثراه بقاموس كبير من الألفاظ والمعاني والصور الإسلامية.
- الالتزام جعل من الشعراء سادة يخضعون الشعر لقيمهم ومبادئهم جاعلين من معانيه وألفاظه طوع بنا نهم .
- شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الثلاثة قدموا نموذج رائع عن الإبداع كيف يكون ضمن نطاق الالتزام، هذا الإبداع في مختلف جوانبه الاجتماعية وسياسية ودينية وغيرها.

الهوامش:

1.ديوان عبد الله بن رواحه – تحقيق الدكتور وليد قصاب ثانية – دار الضياء – الأردن – 1408 هـ/1988

2 - تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل وأسرار التأويل "ص 367 ط ح المطبعة الهية المصرية 1925 م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم تحقيق سيد الحنفي حسين ص 156/155.

4- إبراهيم شمس الدين .شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ص 89 .س.ط 2008م دار صبح بيروت لبنان

5- هشام بن محمد بن البائب الكلي – الأصنام – تحقيق أحمد زكي باشا .المطبعة الأميرية عام 1914 ص 2355

6 - سورة النجم –الآيات 20-29 .

7- ديوان حسان بن ثابت ص 187.

8 - ديوان حسان بن ثابت ص 106.

9 - سورة يوسف الآية 2.

10 - سورة الأنبياء الآية 10

11- سورة الحديد الآية 17.

12- سورة البقرة الآية 73..

13- سورة الأنبياء الآية 67

14- سورة المائدة الآية 15

15- سورة الأحزاب الآيتان 45-46.

16- ديوان حسان بن ثابت ص 239 .

17- المرجع نفسه،ص 239 .

18- المرجع نفسه ص 71 .

19- ديوان بن رواحه.

20- ديوان كعب بن مالك ص 9 تحقيق عبد الرحمان المصطاوي–دار المعرفة..

21- ديوان كعب .المرجع السابق ص 174..

22- شرح ديوان حسان بن ثابت –المرجع السابق ص 72.

23- شرح ديوان حسان .المرجع السابق ص 47.

24- ديوان كعب بن مالك ص.

25- شرح ديوان حسان– المرجع السابق ص 220.

26- ديوان كعب بن مالك – المرجع السابق ص 66.

27- ديوان عبد الله بن رواحه ص 94 -95.

28- ديوان عبد الله بن رواحه ص 129 .

29- ديوان عبد الله بن رواحه ص 142.

30- سورة آل عمران الآية 169

31- ديوان كعب بن مالك المرجع السابق ص 64 .

32- ديوان كعب المرجع السابق ص 57.

33- شرح ديوان حسان –المرجع السابق ص 155.

مجلة حقائق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

34- ديوان عبد الله بن رواحه ص 147.

35- ديوان عبد الله بن رواحه المرجع السابق ص 153.

36- ديوان عبد الله بن رواحه ص 154

مجلة حقائق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com